العالم المعيش و مسألة الثقافة في منظور فينومينولوجياهوسرل.

الباحثة:بوستةكريمة،

جامعة مستغانم

لقد تطرق **البحث الفينومينولوجي عند هوسرل** إلى مسألة **العالم المعيش** في المراحل الأخيرة*[1] بمسألة العالم المعيش عند **هوسرل** وذلك للأهمية الكبيرة التي يتضمنها، فهذا العالم الأول هو الذي ساهم في بناء العالم الموضوعي المرتبط بالنظريات العلمية والصياغات والقوانين الرياضية، لكن هذا العالم الثاني(**العالم الموضوعي**) قد نسي هذه البدايات والبداهات الأولى التي ارتبطت بالعالم قبل العلمي(**العالم المعيش**). وهذا ماتسبب في حدوث ما يعرف بأزمة العالم المعيش وبالنتيجة **أزمة الثقافة** ، وهذه الأخيرة لن يتسنى الخروج منها إلا اذا ارتبط هذا العالم الموضوعي بعالمه المعيش الأول، هذا العالم الأول الذي يمثل الأرضية الرئيسية للثقافة، ومن هذا المنطلق سيكون بحثنا هذا منكبا على دراسة مسألة عالم المعيش وتحديد فكرة الثقافة عند **هوسرل**،**فما معنى العالم المعيش عند هوسرل؟ وماهو التصور الهوسرلي للثقافة؟**

[1]تتسم فينومينولوجياهوسرل بثلاث مراحل تاريخية تحدد مراحل التفكير التي مرت بها الفينومنولوجياالترنسندنتالية، بحيث كل مرحلة تتعلق بدراسة مواضيع ومسائل معينة ، وهذه المراحل الثلاث هي: 1-مرحلة رياضية منطقية 1891- 1901. 2- مرحلة مثالية ترنسندنتالية 1913-1930 والمرحلة الأخيرة هي مرحلة فينومينولوجيا عالم الحياة 1935.

يعتبر عالم العيش هو **العالم الأول اليومي** *[1] الذي ترتبط به حياتنا البسيطة قبل العلمية، هذه الحياة اليومية التي كانت تتميز بطابعها الخاص في مقابل تلك الحياة الفلسفية، حيث كانت حياة الإنسان اليومية التي كانت آنذاك خارج الاهتمام الفلسفي، ولهذا نجد **هوسرل**يوضح لنا الفرق بين هذين النمطين من الثقافة، حيث أن لكل نمط طبيعته الخاصة، وغايته، لكل ثقافة وظيفتها وأهميتها بالنسبة للوجود البشري، كما يراهما **هوسرل** أنهما متكاملتان ومتداخلتان فيما بينهما، وكل واحدة تستند إلى أخرى، فعلى الرغم من أن الحياة اليومية تكون فيها المعرفة نسبية وأسلوبها البسيط إلا أنها تتميز بجوهر خاص تستفيد منه الحياة الفلسفية، لأنه مثلما نعلم أن جميع الصور الثقافية لم تنطلق من العدم، بل اعتمدت في عملية تشكلها لكامل نظرياتها الفلسفية على **بداهات الحياة اليومية البسيطة** ، والدليل على هذا مثلا نموذج **علم الهندسة** بوصفه شكلا ثقافيا، هذا الأخير لم يتوصل إلى بلوغ شكله الأخير الذي وصل إلى قمة التطور هكذا دفعة واحدة وبالصدفة وإنما قد ساعدته في ذلك تلك البدايات و البداهات الخاصة بالعالم المحيط، العالم العيني للوجود البشري.

ووفق هذا الأساس يلاحظ **هوسرل** أنه لا يجب إنكار قيمة ووجود هذه البداهات التي مثلت الأرضية لظهور النظريات العلمية و العلوم الدقيقة." **و إذا تأملنا الأمر بدقة، ألا يؤدي إنكار بداهات الفهم هذه القائمة على إعادة التركيب إلى**

[1]* إن العالم اليومي والعالم العلمي ، أو ما يمكن وصفه بما هو جملة الصياغات النظرية والعلمية ، تشكيلتان تنتجان عن مختلف انجازات الوعي القصدي ، الا أن الثاني من درجة أعلى من الأول كما تنتمي انجازاته الى مقام أعلى أيضا ، ولكن ماتكشف عنه فينومينولوجياهوسرل هو أن الثاني يقوم على الأول أو هو صورة ساذجة له. أنظر: **(قواسمي مراد، أزمة العقل النظري: فينومينولوجيا الأزمة وغياب الحس التاريخي، مجلة أوراق فلسفية، ص161.)**

أن تفقد كل حياتنا الاجتماعية سندها؟ إن كل استشعار وكل فهم للوجود البشري المشترك وللعالم المحيط البشري(الذي هو أولا وآخرا **عالم ثقافي.**)"[1]

يمكن أن نطلق تسميات مختلفة للعالم الذي تنجز فيه الذات أعمالها الثقافية، مثلا نقول **عالم المحيط، عالم الحياة ، عالم التجربة اليومية ،العالم الطبيعي قبل العلمي،عالم المعيش**، لكن المصطلح الذي تداولته كتب **هوسرل** وفضلت استعماله هو **عالم العيش** هذه الكلمة تتكون من مفردتين: " **عالم، وحياة** ، بمعنى حياة الوعي من حيث هي حياة قصدية. رغم أن **هوسرل**ليس هو الذي نحت هذا المصطلح، فقد عرف بعد استعمال **هوسرل** له انتشارا واسعا ومارس تأثيرا كبيرا في الفلسفة وخارجها. منذ الكتاب الأول من كتاب الأفكار وجه **هوسرل** اهتمامه لمسألة العالم. لكن يبدو أنه في مرحلته المتأخرة بدأ يستعمل مصطلح عالم العيش بسبب اهتمامه بنقد العلوم الحديثة والنزعة الموضوعية المرتبطة بها. لذلك كان على **هوسرل** أن يميز المفهوم الفينومينولوجي للعالم عن المفهوم العلمي للعالم، أي العالم كما تتمثله الصيغ والنظريات العلمية. لهذا بدأ يستعمل مصطلح عالم العيش للدلالة على العالم من حيث هو أفق مرتبط بإنجازات الذات. **عالم العيش** هو العالم الذي تجري فيه حياتنا اليومية، العالم كما هو معطى في حياتنا اليومية قبل العلم وخارجه، والعالم الذي تبدو لنا فيه الأشياء بكيفية ذاتية نسبية. إن كل **ممارساتنا تجري على أرضية عالم العيش** ، وحتى الممارسة العلمية تعتمد حسب **هوسرل**على بداهات عالم العيش وتقوم

[1]ادموند هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية و الفينومينولوجياالترنسندنتالية ، تر: اسماعيل المصدق، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط1، سنة 2008، ص586.

على أرضيته." [1] هكذا " تتقوّم الأشياء كلها في عالمنا المحيط بصفتها أشياء للذات."[2] فهذه الذات تعتبر عالم الفكر و الثقافة.

" **فالحياة**، ليست مجرد خاصية حية غير تأملية تميز **الموقف الطبيعي**. إنما هي أيضا وليست أقل من ذلك، الذاتية المختزلة **ظاهراتيا** التي هي مصدر جميع الموضوعيات. إن الحياة هي ما يشدد عليه **هوسرل**بوصفها منجزة في نقد النظرة الموضوعية الساذجة للفلسفة السابقة بأكملها. فهو يرى أن هذا المنجز يتمثل في الكشف عن زيف المجادلة الإبستمولوجيا الطويلة الأمد بين المثالية والواقعية، وفي جعل التناسق الداخلي بين الذاتية والموضوعية موضوعا مدركا." [3] " كما أننا في هذا العالم، عالم الحياة، ذوات فاعلة لها تجرباتهاوتفكيراتها وتقويماتها إننا ذوات أنوية باستطاعتها وضع الغايات وتحضير الوسائل لبلوغها. إننا أنوات يتقوم العالم برمته، بما فيه من معاني الكينونة والقيمة، في أفعالها الذاتية الخاصة والمتنوعة. كل هذه أفعال لنا تتغير وتتبدل باستمرار فيما يبقى العالم الذي نحيا فيه هو ذاته نفس العالم عينه. إنه يحتفظ بهويته رغم كل التبدلات وخلال مختلف التغيرات، وبعضها من صنعنا. إنه دائما يبقى لنا العالم المعطى لنا من قبل."[4] **ويقول هوسرل** عن عالم الحياة بأنه **عالم قبلي** ، هذا يعني أنه" كان موجودا دائما للناس: حتى قبل ظهور **العلم."**[5]

---

[1] المصدر نفسه، ص ص 643، 644.

[2] محمد محسن الزراعي ،الفينومينولوجيا والمسألة المثالية، التنوير للنشر والطباعة و التوزيع، لبنان، ط1، سنة2010، ص195.

[3]هانز جورج غادامير ، الحقيقة والمنهج: الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية ، تر: حسن ناظم،دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع، افرنجي، ط1، سنة 2007، ص347.

[4]انطوان خوري، مدخل إلى الفلسفة الظاهرية، دار التنوير للطباعة والنشر ، لبنان، ط1، سنة 1984، ص125.

[5]المرجع نفسه، ص 132.

" ان **عالم الحياة** معطى من قبل كعالم زمكاني، كعالم الأشياء الزمكانية، وذلك بصفة هذه الأشياء موضوعات فعلية وممكنة للتجربة القبلعلمية. إن لنا في عالم الحياة أفقا عالميا كأفق إمكانية تجربة الأشياء. هذه الأشياء هي **حجارة وحيوانات و نباتات**. لكنها أيضا **بشر وبنى بشرية ثقافية**. إلا أن هذه كلها معطاة لنا ذاتيا ونسبيا."[1]

" إن **عالم الحياة** هو عالم حسي، أو عالم الحواس. انه عالم العيان الحسي أو عالم الظهور الحسي. والعيان هو عيان العيني من حيث حضوره الفرداني. ففي كل اثباتات حياة الاهتمامات الطبيعية يقول **هوسرل** تلعب العودة الى عيان التجربة الحسية دورا بارزا. ذلك لأن كل ما يتبدى كشيء عيني في عالم الحياة له بطبيعة الحال جسميته حتى ولو لم يكن هو مجرد جسم مادي، كالحيوان، مثلا، أو أي موضوع ثقافي، أي حتى ولو كانت له صفات نفسية أو أي صفات وعيوية أخرى."[2] يحاول أن يبين **هوسرل** أنه قبل أن تتشكل هذه المعرفة النظرية وتصبح على هذا الشكل العلمي الدقيق كانت قبلهاالمعرفة اليومية البسيطة المتصلة بالعالم المعيش،فقد كان هذا العالم المعيشالمحيط لتلك الممارسات الثقافية التي كان يقوم بها الناس، انه يمثل (العالم المعيش) المرآة العاكسة للتجربة الحياتية اليومية.

و أيضا يصف **هوسرل** عالم الحياة بأنه " **عالم عملي**.إلا أن للعمل معاني عديدة وللإنسان في بيئته الحياتية أنحاء مختلفة من النشاط العملي. فهناك العمل كما يقول **هوسرل**، بمعنى **المراس**(**براكسيس**) وهو ينقسم، بدوره إلى قسمين. القسم الأول هو الممارسة العملية كما يعرفها الإنسان منذ أن وجد بهذا المعنى كل ما نقوم به في حياتنا اليومية بغية تدويم حياتنا واغناء مضمونها الإنساني هو من

[1] المرجع نفسه، ص 133.

[2] أنطوان خوري، مدخل إلى الفلسفة الظاهرية، المرجع السابق، ص 127.

باب الممارسة العملية. أما القسم الثاني فهو نوع آخر وجديد تاريخيا طرأ على الحياة البشرية في مرحلة متأخرة من مراحل وجودها. **هوسرل** يسمي هذا المراس الطارئ الممارسة النظرية. هذه الممارسة النظرية لها مناهجها الخاصة. انها فن النظريات. انه معنى مثالي غريب عن **الحياة القبلعلمية** ويكمن في مطلقة هذه الحقائق وجعلها نهائية وشاملة."[1]

" إن المعرفة العلمية على الرغم من دقتها وموضوعيتها تستند إلى معطيات عالم العيش، أي عالم التجربة اليومية. هذه المعطيات تتميز بأنها ذاتية ونسبية، ومع ذلك، فإنها هي أساس كل معرفة موضوعية ودقيقة. إن تحليل **هوسرل** لا يقودنا بتاتا الى التشكيك في قيمة المعارف العلمية، ولكن مايرفضه **هوسرل** هو القيام بفصل المعرفة العلمية عن المعارف اليومية وعن التجربة السابقة على العلم."[2]ما يسعى **هوسرل** إلى تبيينه هو أن كل ما ينتمي إلى المرحلة العلمية وما وصل الى درجة متطورة من العلم الحديث، و كل تلك النجاحات والانتصارات التي حققتها هذه العلوم، لم تتأسس هكذا من عدموصدفةوإنما كانت قبلها مرحلة وصفها **هوسرل بالحياة قبل العلمية** و يقصد بها العالم المحيط أي العالم اليومي الذي تمارس فيه مختلف **الأشكال الثقافية**،إذن فقبل أن يكون العلم هناك أولا اليومي الذي يمثل البدء لكل ما سيظهر مستقبلا فهو على العموم، يمثل الحقل الوحيد للإنسان باعتباره الكائن الوحيد الذي يستطيع أن ينتج لنا ثقافة، حيث يمكن هذا العالم الطبيعي اليومي لأي شخص من تطبيق اهتماماته و ميولاته الثقافية التي ستتطور وتنتقل هذه الصور والأشكال الثقافية من مستوى بسيط وبدائيساذجإلى مستوى عالي وبدرجة أرقى. وهذا

[1] المرجع نفسه، ص 131.

[2] اسماعيل المصدق، الفلسفة في عصر العلم والتقني، نظرة فينومينولوجية، كتاب جماعي: التواصل: نظريات وتطبيقات، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، ط1، سنة 2010، ص ص 170، 171.

الموضوع لقد عالجه أيضا **هوسرل** في كتابه **الأزمة** حيث يطرح فيه ماهية الثقافة والكيفية التي نشأت عليها أول مرة، أي حديثه عن **الثقافة البدائية قبل العلمية** التي كانت في **العالم المحيط اليومي** والتي قبل أن تتحول الى **الثقافة العلمية الحقيقية.**

وفي سياق آخر تحدث **هوسرل** عن (**علوم الروح**)وارتباطها بالعالم المعيش،هذه العلوم تهتم بدراسة **الحياة الروحية للإنسان** ، وليست **الحياة المادية الفيزيولوجية** مثلما كرست نظرها علوم الطبيعة الحديثة وكل اهتمامها على دراسة الجانب الجسمي للإنسانمغيبة في ذلك قيمة وجوهرالذات الفاعلة والمبدعة، لأنه وفي نظر**هوسرل** أن كل هذه العلوم الروحية توجه كامل اهتمامها النظري الى الناس كأشخاص والى حياتهم الشخصية والى انجازاتهم الشخصية وأيضا إلى تشكيلاتهم الثقافية وفي تعريف **هوسرل**للحياة الشخصية يقول: أنها " تعني الحياة كأنا و كنحن بكيفية جماعية، وفي أفق جماعي، وذلك في جماعات من أشكال مختلفة، بسيطة أو مركبة من درجات، مثل العائلة، والأمة وما فوق الأمة."[1]والحياة التي يقصدها **هوسرل** هي هذا **العالم المحيط** أيعالمنا المعيشي الحياتي، الذي تتواجد فيه **الأنا الذات** و **الأنا الآخر** هذاالإنسان الذي يملك حياتين: أي **الحياة الروحية** ،**والحياة الفيزيولوجية** إذ نجد أن" **كلمة الحياة** ليس لها هنا معنى فيزيولوجي،إنها تعني حياة تعمل من أجل غايات وتنجز تشكيلات روحية: إنها حياة مبدعة للثقافة بالمعنى الأوسع في إطاروحدة تاريخية ما كل ذلك هو تيمة علوم متنوعة للروح."[2]

[1] ادموند هوسرل ، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجياالترنسندنتالية ، تر: اسماعيل المصدق، المصدر السابق، ص 518.

[2]المصدر نفسه، ص 518 .

الثقافة حسب **هوسرل**تتجلى داخل الذات الإنسانيةباعتبارها أنها هي من تملك القراروالإرادة والابداع والرغبة وكل القدرات والملكات الذهنية في الابتكاروالإبداع لتشكيل الصور الثقافية. وعليه لقد تقرر بأن مفهوم الثقافة لدى **هوسرل** هي كل ما ينتمي الى الذات المفكرة التي تجعل العقل هو المنطلق الأساسي لكل شيء، وعلى حد تعبير الفلاسفة الألمانيين يقصدون بالثقافة هي كل تلك **العلوم الروحية**،و**هوسرل**نفسه يرى بأن الثقافة تظهر في الذاتية الروحية. ويتبين ذلك بوضوح كبير في نص **هوسرل** الذي قدمه في مقاله: **الفلسفة علما صارما** يتضمن موقف **هوسرل**عن **ماهية الثقافة** والتي يقابلها بمفردة **جهالة**، وعن ماهية **الإنسان المثقف** فهو يقول :"ان الإنسان صاحب التجربة المتعددة الأبعاد، أو كما نقول أيضا: الإنسان المثقف ليس لديه تجربة بالعالم فحسب، بل لديه أيضا **تجربة أو ثقافة دينية، وجمالية، وأخلاقية، وسياسية،وعمليوتكنيكية**، الخ. ومع ذلك، فإننا لا نستخدم هذا اللفظالمطروق بكثرة: **لفظ ثقافة(بيلدونغ)** طالما لدينا اللفظالمقابل له، وهو **جهالة(إينبيلدونغ)**."[1]

تعتبر اذن ماهية العالم المعيش عند **هوسرل**بإعتباره **العالم الأول** الذي نشأت فيه **الثقافة**، انه **عالم حياة البشر**،**عالمالأشياء**،**عالم الحيوانات** عالم الوجود بأكمله. فكما أشرنا إلى صورة الثقافة كيف كانت في هذا العالم المحيط، عالم الحياة البسيطة، حيث قدم لنا **هوسرل** تمييزا بينها وبين **الثقافة المتطورة العلمية**، هذه الأخيرة التي سنوضح مظاهرها لاحقا.في هذا الصدد يقول **هوسرل:**" لنبدأ **بتوضيح النوعية العجيبة للفلسفة** التي تنتشر بإستمرار في علوم خاصة جديدة لنقارنها مع أشكال ثقافية أخرى متوفرة لدى **البشرية قبل العلمية**، ومع **الصنائع اليدوية** ، ومع **زراعة الأرض** ، ومع **أسلوب السكن** ...الخ

---

[1] ادموند هوسرل، الفلسفة علما دقيقا، تر: محمود رجب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002، ص87.

هذه كلها أصناف من المنتجات الثقافية مع المناهج التي تستعملها من أجل إنتاجها بنجاح أكيد. وفيما عدا ذلك فإنها تتوفر على وجود عابر في العالم المحيط، أما المكتسبات العلمية فإنها تتوفر بعد بلوغ المنهج الذي يمكن من انتاجها بنجاح أكي، على كيفية للوجود مغايرة تماما. انها لا تنقضي ولا تزول ان تكرار انتاجها لا ينشئ المثيل."[1]

يوضح **هوسرل**هنا نوعية وشكل الثقافة في العالم المحيط(**عالم العيش)** كيف كانت الثقافة قبل العلمية ويقارن بينها وبين شكل الثقافة العلمية، حيث أن الأعمال والمنتجات الثقافية في العالم المعيش اليومي، مثلا **الصنائع اليدوية، الفؤوس، زراعة الأراضي أسلوب السكن** ...الخ. فهي تعتبر فعلا الثقافة ورغم بساطة أساليبها غير أنها ساهمت في تأسيس العلوم والنظريات العلمية، في المقابل لا يمكنها أن تبلغ المستوى العلمي ولهذا فإنها تبقى معرفة ظنية ونسبية ويمكن أن يتطرق إليها الشك، لأنها مازالت أشكال ثقافية تكون مناهجها جد بسيطة وضعت لأجل تحقيق غايات والحاجات اليومية للإنسان، وعليه فإنها تقتصر مهمتها فقط في تحقيق أهداف عملية، حيث ينتهي وجود هذه الثقافة بمجرد ما تنتهي حاجة الإنسان ومنفعته، في المقابل نرى أن هذا الأمر لا يحدث داخل الثقافة المتطورة العلمية وهذا واضح في **الفلسفةبوصفها شكلا ثقافيا بامتياز**،إنها تتوفر بعد بلوغ المنهج المناسب لها الذي يمكن من إنتاجها بنجاح مطلقعلى غايات وأهداف تتصف بالعلمية والقيمة العالية حسبتعبير **هوسرل** والتي تسعى الى بلوغ الحقيقة الشاملة.وعليه يؤكد لنا **هوسرل**اذ " ليس هناك في الأفق التاريخيقبل **الفلسفة** أي **شكل ثقافي** آخر يمكن اعتباره **ثقافة للأفكار** بذلك المعنى ويعرف مهام لا متناهية، يعرف تلك العوالم من الموضوعات المثالية التي تحمل، حسب معناها، في كليتها، وفي جميع فردياتهاوكذلك مناهج إنتاجها

[1]ادموند هوسرل ، أزمة العلوم الأوروبية و الفينومينولوجياالترنسندنتالية ، المصدر السابق، ص 528.

اللانهائية."[1] ففي تصور **هوسرل** لا يوجد شكلا ثقافيا بامتيازبمعزلعن الفلسفة، فهي أسمى وأرقى النماذج الثقافية على الإطلاق، وهذا ما سنوضحه لاحقا.

انهذه**الثقافة غير العلمية** التي لم ترتقي بعد إلى مستوى العلم، فهي مازالت تبحث عن سبل تحقيق حاجياتها اليومية والعملية، معناه كان الإنسان خلال هذه المرحلة لا يهتم بإبداع وانجاز الأعمال الثقافية من أجل الهوية أو الثقافة،**فالثقافة** هي أسلوب حياة وهي تراث ولكل مجتمع ثقافة تميزه عن غيره، فمن خلال ثقافة أمة نتمكن من معرفة كينونة هذه الأمة وتاريخها، لكن الأمم البدائية كانت تنجز الصور الثقافية من أجل تلبية متطلباتها، فمثلا لولا الطلب والحاجة لما كانت هناك أشكال ورموز ثقافية، يعني أن الثقافة كانت تظهر تحت الطلب. إضافة على ذلك يرى **هوسرل** بأن العقل عند هذه المرحلة البدائية يصبح عاجزا ويكون تفكيره منغلق وضيق، معناه سيتعطل تفكيره عن الإبداع والانجاز، وبالتالي فإن أفاق التفكير لديه تبدأ في التقلص. " واضح أن كل هذه المعارف المنتمية للحياة الطبيعية قبل العلمية وغير العلمية " ذاتية-نسبية". إنها تتعلق بالعالم المحيط البشري كما تؤوله الذوات المعنية." [2] وهكذا" ان **الثقافة غير العلمية** ، التي لم يلامسها العلم بعد هي مهمة الإنسان وانجازه في مجال التناهي، حيث لم ينكشف بعد الأفق المفتوح دون نهاية الذي يعيش فيه، فغاياته، وفعله، وحياته العملية، وحوافزه الشخصية والجماعية، والوطنية، والأسطورية، كل ذلك يجري في عالم محيط متناه يمكن الإحاطة به- لاوجود هنا لمهام لا متناهية، لمكتسبات مثالية تمثل لا نهائيتها ذاتها حقل العمل، وذلك بالضبط بحيث يكون العاملون فيه على وعي بأنه يوجد كحقل لا متناه من

---

[1] ادموند هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجياالترنسندنتالية، المصدر السابق، ص 530.

[2] ادموند هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية و الفينومينولوجياالترنسندنتالية، المصدر السابق، ص592.

المهام."[1]لكن الأجيال التي أتت فيما بعد كما بين **هوسرل**لم تبقي على هذه الثقافة العملية الساذجة، بل تغيرت وارتقت الى مستوى **الثقافة العلمية** ، فمن خصائص الثقافة التغير فهي متغيرة اذ تتحول من حالة الى حالة، وبمعنى آخر تنتقل من الثقافة البربرية الهمجية الى الثقافة المتحضرة على حد تعبير **لويس مورغان** من هذا، ونرى هذه **الثقافة المتحضرة** مع **الحضارة اليونانية** فقد أخذت هذه **الثقافة الجديدة** مستوى عالي يقر العالم كله بأسلوبها الحضاري العلمي الذي ظهر فقط مع **ميلاد الأمة اليونانية**. حيث يقول **هوسرل**: " مع ظهور الفلسفة اليونانية وتشكلها الدقيق الأول من خلال الامتثال المتواصل للمعنى الجديد حدث من هذه الزاوية تحول مستمر" [2]. فقد تمكنت الفلسفة العلمية الشاملة عند اليونان **وبفضل عبقريتها العقلية** أن تغير وتنتقل **بالثقافة الأولى** اليومية غير العلمية إلى ثقافة علمية وحقيقية، " وهكذا فإن الثقافة العلمية في ظل أفكار اللانهائية تعد ثورة في الثقافة بأسرها، ثورة في كل شكل البشرية كمبدعة للثقافة." [3] إن الثقافة الحقيقية عند **هوسرل** هي الثقافة الفلسفية، وبالتالي ومع تطور الشكل الثقافي الفلسفي، ومع تطور مناهجه النقدية، تطورت معهما البشرية،إذ أصبحت هذه الثقافة على أفضل نموذج، وذلك بسبب ظهور ذلك الموقف النظري الفلسفي القائم على النقد، الذي لا يقبل بأي فكرة تقليدية ساذجة إلا ويضعها تحت الشك والسؤال،إذن يجب على الإنسان أن يسير حياته وفق معايير علمية يصل من خلالها إلى طريق الحقيقة، هذا يعني أنه ينبغي على الإنسان أن يؤسس ثقافة حقيقية علمية بحيث ينتقد كل ثقافة لا تزال بدائية في أسلوب حياتها.يرى **هوسرل** أن هذه الذات المنجزة ملتحمة بعالمها

---

[1]المصدر نفسه، ص 530.

[2]ادموند هوسرل ، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجياالترنسندنتالية ، المصدر السابق، ص131.

[3]المصدر نفسه، ص 531.

المحيط، معناه الأنا الذات متضمنة في العالم المحيط ومتمسكة به وتتحدد ماهيتها ووجودها فيه، بحيث " **ماهية الشخص** تتعين من خلال تقوّم متبادل بينها وبين عالم محيط. ان العالم المحيط يتميز عن العالم الطبيعي، لأنه لا ينفصل عن الذات، فهو حاصل لجملة نعيش تجاربها فلا يوجد أبدا بصفته عالما في ذاته، لا ينفصل عنها لأنها لا تحقق وعيها بذاتها إلا من خلاله وفيه، ولذلك يؤكد**هوسرل** أن مفاهيم الأنا والعالم المحيط مفاهيم ترتبط بعضها ببعض ارتباطا لا ينفصل."[1]

وليس هذا فقط أيضا طرح **هوسرل** فكرة **التذاوت*** وفي علاقتها **بالعالم المحيط**، لأنه يبحث عن العالم الذي تتواصل فيه الأنوات وتتبادل **الأفكار والثقافات**،إنه يريد تحقيق فكرة التواصل المعرفي الثقافي ما بين الذوات، وهذا يعني أن" **العالم المحيط** هو بمثابة **فضاء حضاري** أو **مشترك** تلتقي فيه الذوات ليتواصل بعضها ببعض. انه **فضاء** تكون فيه تلك الذوات أعضاء نشطة وفاعلة، فهي تستند إليه لإحداث شكل من التفاهم والتواجد معا. ولذلك فإن الشخص يتقوّم بمقتضى ذلك العالم بصفته ذاتا اجتماعية. انه عضو في مجموعة أو في ثقافة أو في حضارة لا يمكنه الا أن يستقي قيمه منها." [2]" و يقتضي**العالم المحيط** أيضا(اتفاقا) بين أعضائه لا يحصل أفقيا، بل بتأثير فكري متبادل بينهم. فذلك كله يفترض تقويمات موضوعية للأشياء والأفكار والقيم والمعارف من قبل أعضائه. انه عالم يقتضي موضوعية للأشياء من درجة عليا لا تستخلص من تجربة الأنا فحسب، بل تتقوم تذاوتيا في تجربة الآخرين، فهو عالم ذو وجهين: أولهما **ذاتية اجتماعية** بما يتضمن من تقويمات فردية،

[1] محمد محسن الزراعي،الفينومينولوجياو المسألة المثالية، المرجع السابق، ص 194.
[2] المرجع نفسه، ص ص 194، 195.

وثانيهما **موضوعية اجتماعية** ، بما يشترطه من **تواصل فكري- ثقافي بين الذوات**."[1]

ونجد نص **لهوسرل** يعبر فيه عن فكرته في الدعوة الى تحقيق فكرة **الحياة المشتركة**أي الحياة الجماعية، ففي مثل هذه الحياة يقول **هوسرل** تطورت **الثقافة الجماعية** . وبالتالي تنشأ العلاقات الاجتماعية التبادلية،و يتحقق التواصل والحوار الثقافي بين الذوات، فحياة الأنا الذات تتواصل وتشترك مع حياة الأنا الآخر، وعليه إن " الوجود البشري الفردي ينشأ عن التناسل ويجري في علاقات مرتبطة بالتناسل، ولذلك لا يعرف حياة منجزة منعزلة، كل مشروع وعمل للأنا الفردي يضم في أفقه ذوات متواجدة أخرى مع مشاريعها، وانجازاتها الفعلية والممكنة." [2] ذلك أن" **الحياة المترابطة تناسليا** ، والتي تنتمي للوجود البشري في العالم المحيط، حيث تظهر في هذه الحياة، جوانب إنسانية تشترك فيها كل الناس، مما يتوفر على الترابط والتماسك، اذ يشترك الأفراد وكل الذوات فيما بينهم، ان هذا العالم المحيط، أي عالم العيش الذي تشترك فيه جميع الأنوات الفردية بجماعة النحن(نحن عائلتنا، نحن قبيلتنا، نحن الألمانيون*، نحن شعبنا – نحن الألمان) التي يتعلق بها الأمر." [3]

اذن هذه أهم التحليلات الفينومينولوجية التي قدمها **هوسرل** حول معنى العالم المحيط، باعتباره عالمنا العيشي، العالم الأول الذي تجري فيه انجازاتنا الثقافية، لكن صلاحية عالم العيش لم تبقى على عهدها خاصة مع تطور العلوم الحديثة وابتكار القوانين الرياضية والفيزيائية، اذن أصبح هناك ما يعرف **بأزمة**

---

[1] محمد محسن الزراعي،الفينومينولوجياو المسألة المثالية، المرجع السابق، ص195.

[2] ادموند هوسرل ، أزمة العلوم الأوروبية و الفينومينولوجياالترنسندنتالية ، المصدر السابق، ص 589.

[3] المصدر نفسه، ص 589.

عالم العيش التي حصلت بسبب سيطرة النزعة الموضوعية وفهمها الضيق للعلم، هذا الأخير الذي قام بإقصاء كل الأسئلة التي تتعلق بالإنسان، وهذا ما يدفعنا الى التساؤل عن حقيقة أزمة عالم العيش، **فما معنى القول بوجود أزمة العالم المعيش؟ ما طبيعةالتحليلالفينومينولوجيالهوسرلي لأزمة عالم العيش؟**

إن معنى **أزمة عالم العيش** حسب **هوسرل**تعني أن هذا العالم أصبح منسيا ومغيبا على الرغم من الأهمية الأنطولوجية التي يتضمنها، والسبب الكامن وراء هذا النسيان وهذا التهميش، هو **العلم الوضعي** الحديث ونزعته الموضوعية المرتبطة به، هذه الأخيرة التي اعتقدت أنها السلطة والقوة الوحيدة في الوجود التي تعتبر أنها الوحيدة التي حققت النجاحات وأنها وصلت الى الدقة والعلمية، ما جعلها تنسى الأرضية الأولى التي انبثقت منها، أي إهمالهاوإقصائها للعالم المحيط اليومي، الذي يمثل البدايات والأصول الأولى لكل شكل أو نظرية علمية، فكما يقال أنها أنكرت الفضل، وهذا بالذات ما فعلته العلوم الرياضية والفيزيائية وكل العلم الحديث، لقد نسيت فضل عالم العيش، الذي كان قائما مسبقا قبل العالم العلمي. هذا كله جعل **هوسرل**يستعمل **المنهج الفينومينولوجي** ليعالج ويحلل أزمة عالم العيش، وذلك من خلال العودة الى ما قبل حدوث الأزمة من أجل النقد والفحص، وهذا طبقا لعبارته الأساسية: " **العودة الى الأشياء ذاتها."**

إن نسيان **علم الطبيعة** لأساسها الذي اعتمدت عليه في نشأتها قد تولد عنه أزمة ثقافية عميقة، و قد لاحظنا " ما جرى مع **غاليليه**من **دس*** لعالم المثاليات الذي هو تركيب نظري رياضي محل العالم الواقعي الوحيد، المعطى واقعيا في الإدراك، عالم التجربة الفعلية والممكنة-عالم عيشنا اليومي، هذا الدس سرعان

ماتوارثه الخلف، فيزيائيو القرون اللاحقة كلها" [1] يرى **هوسرل** أن أزمة **عالم العيش**، لقد تجلت بوضوح مع **غاليلي*** وتصوره لعلم الطبيعة، حيث يبين**هوسرل** بأن مصدر تحصيل المعرفة يكون من خلال تجاربنا اليومية البسيطة، لأن " المعرفة ذاتها مشروع وانجاز، لكنها مشروع وانجاز يعلو أو بالأحرى يستطيع أن يعلو بكيفية خاصة فوق كل المشاريع العملية للحياة وبذلك بالضبط يخدمها، وبالنتيجة يخدم إرادة الحياة وقدرة الحياة..... فإن الحياة تكون دائما غنية سلفا بالمعارف واضح أن كل هذه المعارف المنتمية للحياة الطبيعية قبل العلمية وغير العلمية ذاتية نسبية، انها تتعلق بالعالم المحيط البشري."[2] نلمح هنا نوع من المفارقة عند **هوسرل**، فهو يعترف بمدى أهمية هذا العالم اليومي باعتباره يمثل البدايات و البداهاتلكل نظرية علمية، وفي المقابل يعترف بالقصور والضعف لهذه المعرفة التي تصدر من عالم الحياة اليومية بدعوى أنها معرفة نسبية. لكن **هوسرل** يعود من جديد ويقر بمدى أهمية هذه المعرفة على الرغم أنها نسبية ولانهائية وأنها لا تتمتع بالدقة العلمية لكنها قدمت الكثير وعادت بالمنفعة على العالم العلمي. اذ نجد **هوسرل** يقول هنا: " إن الفيلسوف لا يريد أن يعطي للعالم اليومي للحياة، العالم الذي تجري فيه كل

---

[1] ادموند هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجياالترنسندنتالية ، المصدر السابق، ص104.

***دس:** يعني الفعل في العادة نسب شيئا ما (سلبيا في الغالب) خلسة وبكيفية غير مبررة الى شخص ما. يرى هوسرل أنه ابتداء من غاليليه بدأ عالم المثاليات الرياضية– الفيزيائية، الذي ليس في الأصل سوى تركيب نظري منطقي ، يوضع أو يدس محل العالم المعطى فعليا في التجربة الحدسية اليومية.(أنظر: كتاب الأزمة ، 104).

[2] ادموند هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجياالترنسندنتالية، ص ص 592، 591.

ممارسة حياتية طبيعية، والذي يكون موجودا أمام عينيه في وضعيات معينة كيقين داخلي لا يسأل عنه، صلاحية بصفته العالم الحقيقي."[1]

يقول **هوسرل**: " أن كل علم يتضمن بالضرورة إحالة محفزة الى عالم التجربة المعيشة، حيث ينكشف أصل معناه بواسطة سلسلة متراكبة من بداهات أكثر أو أقل تجريدا، تفترض كلها بداهة أولى غير مجرَّدة، أي تجربة بمعنى نهائي وأصلي. إن رد العلم الموضوعي وتوضيح معناه يبرز الحضور الأساسي للعالم الأصلي، وهو عالم الحياة. هذا الأخير يكون معطى بشكل سابق لكل معرفة علمية. بهذا فإن كل علم يتأسس ويبرر معناه المنطقي في، ومن خلال علاقته بعالم الحياة." [2]ولما نعود الى **غاليلي** وفي موقفه المعارض والثوري لكل نظرية علمية تأسست من منطلق المعرفة اليومية، هذه الأخيرة التي يراها عديمة من كل الصلاحية و المطلقية، فهي لا أساس لها من الصحة والحقيقةوبالتالي لا يمكن أخذها كمنهج لعلم الطبيعة، لذلك راح يبحث عن منهج علمي دقيق قائم على النزعة الموضوعية، هذه النزعة التي لا تقر بجوهر تلك التصورات الفكرية المنبثقة من الذاتية بدعوى أنها نسبية تختلف من فرد إلى آخر، وتتغير كلما تتغير الظروف، عكس المعرفة المطلقة التي لا يمكن تحصيلها إلا عن طريق اتخاذ النزعة العلمية الموضوعية الدقيقة. وبالفعل يكون **غاليلي** قد حقق ما حاول من أجله، أي تأسيس علم صارم بالطبيعة، وهنا كانت بوادر تشكيل الأزمة، أي أزمة عالم العيش.

إذا فقد عارض بشدة **غاليلي** وكغيره من العلماء الذين ينتمون الى المجالات العلمية الدقيقةكالفيزياء، الكيمياء، الرياضيات، العلوم الطبيعية،كل المعارف

---

[1]المصدر نفسه، ص 627.

[2]نادية بونفقة ، فلسفة ادموند هوسرل: نظرية عالم الحياة ، ديوان المطبوعات الجامعية،دط، الجزائر ،سنة2012 ص202.

اليومية، التي تفتقر إلى كل علمية وموضوعية، فهي تبقى مجرد معرفة بسيطة غير متيقن من نتائجها، فهي معرفة شكية أي خادعة على حد تعبير **غاليلي** وكل عالِم مختص في العلوم الدقيقة، ولهذا كانت دعوته تصرح بتجاوز هذه المعرفة اليومية ونسيانه، وبالتالي التمكن من تحقيق العلم الدقيق البعيد نهائيا عن أي معرفة ذاتية نسبية مؤسسة على اليومي." وبناء على ذلك فليس عالم المعيش الحقيقي جديرا، وفقا لإدعاءات النزعة الموضوعية، بالدراسة علميا بما أنه ذاتي ونسبي وبهذا يقذف فيما وراء ظهر العلم ويطوى طيّ النسيان، الأمر الذي يعني إلى أن النزعة الموضوعية تضفي ميزة الإطلاق على الفيزياء الرياضية الذي يؤخذ على أنه صورة العلم الممكن الوحيدة وبالتالي ضرورة إسقاطه على كل العلوم الأخرى بما هو مقياس العلوم الدقيقة وصفة العلمية الحقيقية." [1] لكن **هوسرل** انتقد بشدة موقف **غاليلي** حول تصوره لعلم الطبيعة، وقدم براهين وحجج في تحليليه النقدي اتجاه **غاليلي**، بحيث قام هذا الأخير بنسيان العالم المعيش، العالم الذي تتواجد فيه حياتنا ومختلف المسائل المرتبطة بحياتنا : **كالحرية،التاريخ،الغاية...** كلها مسائل أصبحت مغيبة في ظل النجاحات والتطورات الهائلة التي حصدها **القرن 19**. وبالتالي تشكل **الأزمة الإنسانية** وحدوثها عندما تم نسيان العالم المعيش اليومي،اذن **غاليلي** قد قام بنسيان الحوافز والبدايات الأصلية التي وضعها هذا العالم اليومي، التي تمثل الركيزة لكل تلك الأفكار العلمية والرياضيات الحسابية والهندسية. **فغاليلي** مثلا وخلال تصوره وفكرته حول الهندسة لم يهتم بالفكرة الأصلية لنشأة علم الهندسة.

هكذا يتحدد معنى أزمة العالم المعيش، الذي تم تهميشه ونسيانه بسبب سلطة العلوم الحديثة ونزعتها الموضوعية، بحيث نتج غياب كلي للإنسان الذي هو أساس الوجود وحقيقته، فدراسة الإنسان بواسطة مناهج العلوم الحديثة، هو

[1] مراد قواسمي ، أزمة العقل النظري: فينومينولوجيا الأزمة وغياب الحس التاريخي ، مجلة أوراق فلسفية، جامعة وهران،العدد ،ص144.

إعلان عن موته. ولهذا استثمر مجهوده الفكري في اعادة الاعتبار لعالم المعيش وإعطائه حقه الأوفر الذي يستحقه، فهو يمثل الأرضية الرئيسية بالنسبة للذات وانجازاتها الثقافية، فهو المحيط الأول الذي تشكلت فيه الصور الثقافية أول مرة، هذه الأشكال الثقافية التي أصبحت أكثر تطورا وعلمية وخاصة مع ذلك **الشكل الفلسفي الثقافي** الذي ظهر مع اليونان القديمة.

الهوامش:

1- تتسمفينومينولوجياهوسرل بثلاث مراحل تاريخية تحدد مراحل التفكير التي مرت بها الفينومنولوجياالترنسندنتالية، بحيث كل مرحلة تتعلق بدراسة مواضيع ومسائل معينة، وهذه المراحل الثلاث هي: 1-مرحلة رياضية منطقية 1891-1901، 2- مرحلة مثالية ترنسندنتالية 1913-1930 والمرحلة الأخيرة هي مرحلة فينومينولوجيا عالم الحياة 1935.

2- ان العالم اليومي والعالم العلمي، أو ما يمكن وصفه بما هو جملة الصياغات النظرية والعلمية، تشكيلتان تنتجان عن مختلف انجازات الوعي القصدي، الا أن الثاني من درجة أعلى من الأول كما تنتمي انجازاته إلى مقام أعلى أيضا، ولكن ماتكشف عنه فينومينولوجياهوسرل هو أن الثاني يقوم على الأول أو هو صورة ساذجة له. أنظر: (قواسمي مراد، أزمة العقل النظري: فينومينولوجيا الأزمة وغياب الحس التاريخي، مجلة أوراق فلسفية، ص161.)

3- ادموندهوسرل، أزمة العلوم الأوروبية و الفينومينولوجياالترنسندنتالية، تر: اسماعيل المصدق، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط1، سنة 2008، ص586.

4- المصدرنفسه،ص ص 643، 644.

5- محمد محسن الزراعي،الفينومينولوجيا والمسألة المثالية، التنوير للنشر والطباعة و التوزيع، لبنان، ط1، سنة2010، ص195.

6-هانز جورج غادامير، الحقيقة والمنهج: الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، تر: حسن ناظم، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع، افرنجي، ط 1، سنة 2007، ص347.

7- انطوان خوري، مدخل الى الفلسفة الظاهرية، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط1، سنة 1984، ص 125.
8- المرجع نفسه، ص 132.
9- المرجع نفسه، ص 133.
10- أنطوان خوري، مدخل إلى الفلسفة الظاهرية، المرجع السابق، ص، 127.
11- أنطوان خوري، مدخل إلى الفلسفة الظاهرية، المرجع السابق، ص131.
12- اسماعيل المصدق، الفلسفة في عصر العلم والتقنية، نظرة فينومينولوجية، كتاب جماعي، التواصل: نظريات وتطبيقات، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، ط1، سنة 2010، ص ص: 170، 171.
13- ادموندهوسرل، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجياالترنسندنتالية، تر: اسماعيل المصدق، المصدر السابق، ص518.
14- المصدر نفسه، ص 518 .
15- ادموند هوسرل، الفلسفة علما دقيقا، تر: محمود رجب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002، ص87.
16-ادموند هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية و الفينومينولوجياالترنسندنتالية، المصدر السابق، ص 528.
17- المصدر نفسه،ص 530.
18-المصدر نفسه، ص 592.
19-المصدر نفسه، ص 530.
20- المصدر نفسه،ص131.
21- المصدر نفسه، ص 531.
22- محمد محسن الزراعي، الفينومينولوجيا والمسألة المثالية، المرجع السابق، ص194.
23- المرجع نفسه، ص ص 194، 195.
24-المرجع نفسه، ص195.
25- ادموندهوسرل، أزمة العلوم الأوروبية و الفينومينولوجياالترنسندنتالية، المصدر السابق، ص 589.
26-المصدر نفسه، ص 589.

27- المصدر نفسه، ص104.

*دس: يعني الفعل في العادة نسب شيئا ما (سلبيا في الغالب) خلسة وبكيفية غير مبررة إلى شخص ما. يرى هوسرل أنه ابتداء من غاليليه بدأ عالم المثاليات الرياضية- الفيزيائية، الذي ليس في الأصل سوى تركيب نظري منطقي، يوضع أو يدس محل العالم المعطى فعليا في التجربة الحدسية اليومية.(أنظر: كتاب الأزمة، 104).

28-المصدر نفسه، ص ص591، 592.

29-المصدر نفسه، ص 627.

30-نادية بونفقة، فلسفة ادموند هوسرل: نظرية عالم الحياة، ديوان المطبوعات الجامعية،دط،الجزائر،سنة 2012، ص202.

31-مراد قواسمي، أزمة العقل النظري: فينومينولوجيا الأزمة وغياب الحس التاريخي، مجلة أوراق فلسفية، جامعة وهران، العدد، ص144.